texte 1

اليه وا كون انا قد قضيت فرضا وجبَ عليّ فاقولَ :

« ايها الملك إنك في منازلِ ابائكَ واجدادكَ من الجَبابرةِ الذين أسّسوا المُلْكَ قبلَكَ وشيّدوه دونكَ وبنَوْا القِلاعَ والحصونَ ومهّدُوا البلادَ وقادُوا الجيوشَ واستجاشُوا[1] العُدَّةَ وطالتْ لهمُ المدَّةَ ، واسكثروا من السلاحِ والكُرَاعِ[2] ، وعاشوا الدُّهورَ ، في الغِبطةِ[3] والسرورِ ، فلم يمنَعْهم ذلك من اكتسابِ جميلِ الذكرِ ، ولا قطَعَهم عن اغْتنامِ الشُّكرِ ، واستعمالِ الإحْسانِ فيما خُوِّلوهُ[4] والرِّفْقِ فيما وَلوه[5] وحسْنِ السيرَةِ فيما تقلَّدوه ، مع عِظَمِ ما كانوا فيه من غِرَّةِ[6] المُلْكِ وسكْرَةِ الاقتدارِ ، وانك أيُّها الملكُ السعيدُ جَدُّه الطالعُ كوكبُ سعدِه قد ورِثتَ أرْضَهم وديارَهم وأموالَهم ومنازلَهمْ التي كانتْ عُدَّتَهم فأقَمْتَ فيما خُوِّلْتَ من المُلْكِ ووَرِثتَ من الأموالِ والجنودِ فلم تَقُمْ في ذلكَ بحقٍّ ما يجبُ عليكَ بلْ طَغَيتَ وبَغَيتَ وعتَوْتَ وعلوْت

---

١ — استجاشوا : طلبوا .

٢ — الكراع اسم يجمع الخيل .

٣ — الغبطة : حسن الحال .

٤ — خولوه : من خوله الله الشيء تخويلا ملكه اياه .

٥ — الرفق ضد العنف.. وولوه اي تولوا عليه .

٦ — اسم من الاغترار .

على الرَّعِيَّةِ وأسأتَ السيرَةَ وعظُمَتْ منكَ البليَّةُ وكانَ الأوْلَى والأشبَهَ[1] بكَ أن تسلُكَ سبيلَ أسلافِكَ وتتَّبعَ آثارَ الملوكِ قبْلَك وتَقفُوَ[2] محاسنَ ما أبْقَوْهُ لكَ وتُقْلعَ[3] عما عارُهُ لازمٌ لكَ وشَيْنُه[4] واقعٌ بك، وتُحسِنَ النظَرَ برَعِيَّتِكَ وتَسُنَّ لهم سُننَ الخيرِ الذي يبقى بعدَكَ ذكرهُ ويُعقِبُكَ[5] الجميلَ فخرهُ، ويكونُ ذلكَ أبقى على السلامةِ، وأدْوَم على الاستقامةِ، فان الجاهلَ المغترّ مَنِ استعملَ في أمورِهِ البطَرَ والأُمْنيَّةَ، والحازمَ اللَّبيبَ مَنْ ساسَ المُلْكَ بالمدَاراةِ والرِّفق، فانظرْ أيها الملِكُ فيما أُلْقَيْتُ اليكَ، ولا يَثْقُلَنّ ذلك عليكَ، فلم أتكلمْ بهذا ابْتغـــاءَ غرَضٍ تجازيني به ولا الْتماسَ معروفٍ تسوقُه اليّ ولكنْ أتيتُكَ ناصحاً مُشْفِقاً عليك.»

فلما فرَغَ بيدبا من مقالته وقضى مُناصحتَه أوغرَ صدْرَ الملكِ[6] فأغلظَ له في الجوابِ استصْغاراً لأمره وقال: «لقد تكلَّمتَ بكلامٍ ما كنتُ أظُنُّ أنّ أحداً من أهلِ مملكتي يستقبلُني بمثله ولا يُقدمُ على ما

---

١ — من اشبه الولد اباه اذا شاركه في صفة من صفاته.

٢ — تقفو: تتبع.

٣ — تقلع: تكف.

٤ — الشين: ضد الزين.

٥ — يعقبك: يورثك.

٦ — اوغر صدره: ملأه غيظاً.

texte 2

اللجّةَ[1] بمدبّرِهـــا الذي تفرّدَ بإمْرَتِها[2]، ومتى شُحنَتْ بالرُّكاب الكثيرينَ وكثرَ مَلاّحوها لم يؤمَنْ عليهـــا من الغرقِ، ولمْ يزَلْ يفكّرُ فيما يعْمله في بابِ الكتابِ حتى وضعه على الإنفرادِ بنفسه معَ رجلٍ منْ تلاميذِه كان يثق به فخلاَ بهِ منْفرداً معه بعد أنْ أعدّ[3] شيئاً من الورقِ الذي كانتْ تكتب فيه الهند، ومن القوت مـــا يقومُ به وبتلميذِه تلكَ المدّةَ وجلسا في مقْصورَةٍ[4] وردّا عليها البابَ، ثمْ بدأ في نظمِ الكتابِ وتصنيفِه ولم يزلْ هو يُمْلي وتلميذُه يكتبُ ويَرْجع هو فيه حتى إستقرّ الكتابُ على غايةِ الإتْقانِ والإحكام، ورتّبَ فيهِ خمسةَ عشر باباً كلُّ بابٍ منها قائمٌ بنفسهِ وفي كلّ بابٍ مسألةٌ والجوابُ عَنها ليكونَ لمنْ نظر فيهِ حظٌّ[5] من التّبصرَةِ والهِدايةِ، وضمّنَ تلك الأبوابَ كتابا واحداً سمّاه كتابَ كليلةَ ودمْنةَ، ثمّ جعَل كلامَه على ألْسُن البهـائمِ والسّباعِ والطّيْر ليكونَ ظاهرهُ لهواً للْخواصّ والْعوامّ وباطِنهُ رياضةً[6] لِعقولِ الخاصّةِ، وضَمّنَه أيضاً ما يحْتاجُ اليهِ

---

١ — اللجة : معظم الماء

٢ — الامرة : الولاية

٣ — اعد : هيأ

٤ — المقصورة : الحجرة .

٥ — حظ : نصيب .

٦ — رياضة : تمرينا .

الإنسانُ منْ سياسةِ نفْسهِ وأهلهِ وخاصَّتِه وَجميعِ ما يحتاجُ اليهِ منْ أمْرِ دِينهِ ودُنياه، وآخرتهِ وأُوْلاهُ، ويُحضُّه على حسْنِ طاعتهِ للملوكِ ويجنّبهُ ما تكونُ مجانبته خيراً له، ثمّ جعله باطنا وظاهراً كرسْمِ سَائر الكتبِ التي برسْمِ الحكمةِ فصارَ الحيوانُ لهواً ومَـــا ينْطقُ به حِكماً وأدباً، فلما ابتدَأ بيدبا بذلِك جعل أوَّلَ الكتابِ وصْفَ الصَّديقِ وكيف يكونُ الصَّديقان وكيْف تُقْطع المودّةُ الثَّابتةُ بينهما بحيلةِ ذِي النميمةِ[1] وأمرَ تلميذَهُ أنْ يكتبَ على لِسان بيدبا مثلَ ما كان الملِكُ شَرَطهُ[2] في أنْ يجْعله لهْواً وحكمةً. فذكر بيدَبا أنَّ الحكمة مَتى دَخلها كلامُ النَّقَلةِ أفْسدَها واسْتجهلَ حكمتهَا.

فلمْ يَزلْ هو وتِلْميذه يعملانِ الفكرَ فيما سألهُ الملكُ حتى فتقَ[3] لهما العقْلُ أن يكونَ كلامهما على لِسانِ بَهيمتيْنِ، فوقع لهما موْضعَ اللَّهْو والهزْل بكلام البهائم وكانت الحكمةُ مـــا نطقا بهِ، فأصْغتِ الحكماءُ إلى حكمهِ وتركوا البهائمَ واللَّهْوَ وعلِموا انها السّببَ في الذي وضع لهمْ ومالتْ إليهِ الجهَّال عجَباً منْ محاورَةِ بَهيمَتيْن ولم يشكُّوا في ذلك واتخذوه لهواً وترَكوا معنى الكلامِ أنْ يَفْهَمُوهُ ولم

---

١ – النميمة : هي السعي بايقاع فتنة أو وحشة .

٢ – شرط واشترط بمعنى .

٣ – فتق : شق وكشف .

يَعلموا الغرضَ الذي وُضِعَ له ، لأنَّ الفيلسوفَ إنما كان غرَضُه في البابِ الأوَّلِ أنْ يُخبِرَ عنْ تواصُلِ الإخوانِ كيْفَ تتأكَّدُ المودَّةُ بينهمْ على التَّحفُّظِ منْ أهـــلِ السعّايَةِ [1] والتَّحرُّزِ ممَّنْ يُوقِعُ العَداوةَ بينَ المتحابَّيْنَ ليَجُرَّ بذلكَ نَفْعاً الى نفْسِه، فلمْ يَزَل بيدبا وتلميذُه في المقصورةِ حَتى اسْتتمَّ عملَ الكتابِ في مدّةِ سَنَةٍ .

فلما تمّ الحوْلُ [2] أنفذَ إليه المَلِكُ أنْ قـــد جاء الوعْدُ فماذا صنَعْتَ ، فأنْفذَ إليه بيدبا إني على ما وَعَدْتُ الملِكَ فلْيأمُرْني بحمْلِه بعدَ أن يجمع أهلَ المملكةِ لتكونَ قراءتي هذا الكتابَ بحضرتهم [3] فلما رجعَ الرّسولُ الى الملكِ سُرَّ بذلكَ ووعده يوماً يجمعُ فيه أهلَ المملكةِ ، ثمّ نادَى في أقاصي بلادِ الهندِ لِيحْضرُوا قراءة الكتابِ ، فلما كانَ ذلكَ اليوْمُ أمرَ الملكُ أن يُنْصَبَ لبيدبا سَريرٌ مثلَ سريرِه وكراسِيٌّ لأبناءِ الملوكِ والعلماء وأنفذَ فأحضرَه ، فلما جاءه الرَّسولُ قامَ فلبِسَ الثّيابَ التي كان يلْبَسُها اذا دخلَ على الملوكِ وهي المُسوحُ السُّودُ وحَمَّلَ الكتابَ تلميذَه ، فلما دخل على الملكِ وثَبَ الخلائقُ

---

١ — السعاية : الوشاية .

٢ — الحول : العام .

٣ — بحضرتهم : أي بحضورهم .

texte 3

الرَّحمِ وإنْ بَعُدَتْ فكيفَ بإخوَيَّ .. فأنفَذَ فأحضَرَهما وشَاطَرَهما مالَهُ .

وكذلِكَ يجبُ على قارِيءِ هذا الكتابِ أن يُديمَ النَّظَرَ فيهِ من غيرِ ضجَرٍ ويَلتمِسَ جواهرَ معانيهِ ولاَ يظُنَّ أنَّ نَتيجتَهُ الإخبارُ عن حيلةِ بهيمتيْنِ أوْ مُحاوَرَةِ سَبُعٍ لثُوْرٍ فينْصَرِف بذلك عن الغَرَضِ المقْصودِ ، ويكُونَ مثَلُهُ مثَلُ الصَّيَّادِ الذي كانَ في بعْضِ الخُلْجانِ [1] يَصِيدُ فيهِ السَّمك فرَأى ذَاتَ يوْمٍ في المـــاءِ صدَفةً تَتلألأُ حُسْناً فتوَهمَها جوْهَراً لهُ قيمةٌ ، وكانَ قدْ ألْقَى شبكَتَهُ في البحْرِ فاشْتمَلَتْ على سَمَكةٍ كانَتْ قُوتَ يوْمِهِ فَخلاَّهـــا وقذَفَ نَفْسَهُ في الماءِ لِيأْخذَ الصَّدَفةَ ، فلما أخرَجها وجدَها فارِغةً لا شَيءَ فِيها ممَّا ظَنَّ ، فنَدِمَ على ترْكِ ما في يدِهِ للطَّمَعِ وتأسَّفَ على ما فاتَهُ ، فلمَّا كانَ اليوْمُ الثَّاني تَنَحَّى [2] عنْ ذلكَ المكانِ وألْقَى شبكَتَهُ فأصابَ حُوتاً صَغيراً ورَأى أيضاً صدَفة سَنِيَّةً [3] فلمْ يَلتفِتْ إليْها وساءَ ظَنُّهُ بها فترَكَها ، فاجْتازَ [4] بهـــا بعْضُ الصَّيَّادينَ فأخذَها

---

١ ــ الخلجان : جمع خليج وهو النهر وشرم من البحر .

١ ــ تنحى : تخلى واعتزل .

٢ ــ سنية : كريمة .

٣ ــ اجتاز : مر .

فوَجدَ فيها دُرَّةً تُساوِي أموَالاً ، وكذلكَ الجُهَّالُ اذا اغفلوا أمْر التَّفكُّرِ في هـذا الكتابِ وتَرَكوا الوُقُوفَ على أسْرارِ مَعانيهِ والأخْذِ بظاهرِهِ دُونَ الأخْذِ بباطنهِ ، ومَنْ صرَفَ هِمَّتَهُ إلى النَّظرِ في أبْوابِ الهزْلِ فهُوَ كرَجُلٍ أصَابَ أرْضاً طَيِّبَةً حُرَّةً [1] وحَبًّا صَحيحاً فزَرَعها وسَقاها حتى إذا قَرُبَ خيْرُهـا وأيْنَعَتْ تَشاغلَ عنها بجَمْعِ ما فيها منَ الزَّهرِ وقَطْعِ الشَّوْكِ فأهْلَكَ بتَشاغلِهِ ما كانَ أحسَنَ فائِدَةً وأجَلَ عائِدَةً [2] .

وينبغي للنَّاظرِ في هذا الكتابِ أنْ يَعلَمَ أنهُ يَنقسِمُ إلى أرْبعةِ أعرَاضٍ : أحدُها ما قُصِدَ فيهِ إلى وَضْعِه على ألْسنةِ البهائمِ غير النَّاطقةِ ليُسارِعَ لقراءتِه أهلُ الهزْلِ منَ الشُّبَّانِ فتُسْتَمالَ بهِ قلوبُهمْ لهُ لأنهُ الغَرَضُ الوارِدُ منْ حِيَلِ الحيوانات ، والثَّاني إظْهـارُ خيـالاتِ الحيوانات بصُنُوفِ الأصْباغِ والألْوانِ ليكُونَ أنْساً لقُلوبِ المُلوكِ ويكُون حرْصُهمْ عليهِ أشَدَّ للنزْهَةِ في تلكَ الصُّوَرِ ، والثَّالثُ أنْ يكُونَ على هذهِ الصِّفةِ فيتَّخِذَهُ المُلوكُ والسوقةُ فيكثُرَ بذلكَ انْتِساخُهُ ولا يَبْطُلَ فيَخلَقَ على مُرُورِ الأيَّامِ ، ولينْتفِـع

---

١ ـ ارضا حرة . بالضم أي خالية من الشوائب .

٢ ـ عائدة : منفعة .

بذلكَ المُصَوِّرُ والناسخُ أبداً ، والغرَضُ الرّابعُ وهوَ الأقصى مخصُوصٌ بالفيْلسُوفِ خاصَّةً .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ المُقفَّعِ لمّا رأيْتُ اهلَ فارِسَ قدْ فَسَّرُوا هذا الكِتابَ منَ الهِنْدِيّةِ إلى الفارسيّةِ والحقُوا بهِ باباً وهوَ بابُ بَرْزوَيْهِ الطَّبيب ، ولم يذكُرُوا فيهِ ما ذَكَرْنا في هذا البابِ لَمنْ أرادَ قراءَتَهُ واقْتِباسَ عُلومهِ وفوائدِه وضعنَا له هذا البابِ فَتأمَّلْ ذلكَ تُرْشَدْ إنْ شاءَ اللهُ تعالى .

texte 4

كنوز

1. الكنز في المفازة

ومَنِ استكْثَرَ منْ جَمْعِ العلومِ وقراءةِ الكتُبِ منْ غيرِ إعمالِ الرَّوِيَّةِ [1] فيما يقْرَأُهُ كانَ خليقاً أنْ يُصيبَهُ ما أصابَ الرَّجُل الذي زعَمَتِ العُلماءُ أنّهُ اجْتازَ بعْضَ المَفاوِزِ [2] فظهرَ لهُ موْضعُ آثارِ الكُنوزِ ، فجعلَ يَحْفِرُ ويطْلُبُ فوقعَ على شيءٍ منْ عينٍ ووَرِقٍ [3] فقالَ في نفسهِ : إنْ أنا أخذْتُ في نَقْلِ هذا المالِ قليلاً طالَ عليَّ وقطَعني [4] الإشْتِغالُ بنقْله وإحْرازهِ عنِ اللذَّةِ بما أصبْتُ منْهُ ، ولكنْ سأسْتأجِرُ أقواماً يحْملُونَهُ إلى مَنزِلي وأكُونُ أنا آخرَهمْ ولا يكُونُ بقِيَ ورائي شيءٌ يَشْغَل فِكْري بفِعْلِهِ وأكُونُ قدِ اسْتظهَرْتُ [5] لِنفسي في إراحةِ بدَني عنِ الكَدِّ بيَسيرِ أُجْرةٍ أُعطيها لهمْ ثمَّ جاءَ بالحمَّالينَ ، فجعلَ يُحمِّلُ كلَّ واحدٍ منهمْ ما يَطيقُ فيَنْطلقُ به إلى منزلهِ فيفُوزُ بهِ حتى إذا لمْ يبْقَ منَ الكَنْزِ شيءٌ انْطلقَ خلْفَهمْ إلى منزلهِ فلمْ يجدْ فيه من المَالِ شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً ، وإذا كلُّ واحدٍ منَ الحمَّالينَ قدْ فازَ بما حملهُ لنفْسهِ ولم يكُنْ لهُ منْ ذلكَ إلاَّ العناءَ والتَّعب لأنهُ لم يُفكّرْ في آخرِ أمْرهِ .

ثمَّ إنَّ العاقلَ إذا فَهِمَ هذا الكتابَ وبلغَ نِهايةَ عِلمِهِ فيهِ ينبغي لهُ أنْ يَعمَلَ بما علمَ منهُ لينتفِعَ بهِ ويجعلَهُ مثالاً لا يَحيدُ عنهُ ، فاذا لم يَفعَلْ ذلكَ كانَ مثلُهُ كالرَّجلِ الذي زَعموا أنَّ سارِقاً تَسوَّرَ

عليهِ [1] وهو نائمٌ في مَنزلهِ فعلِمَ بهِ فقال : واللهِ لأسكُتَنَّ حتى أنظُرَ ماذا يَصنَعُ ولا أذْعَرُهُ [2] ولا اُعْلِمُه أني قدْ عَلِمْتُ بهِ ، فاذا بلَغَ مُرادَهُ قمتُ إليهِ فنَغَّصْتُ ذلكَ عليهِ ، ثمَّ إنهُ أمْسَكَ عنهُ وجعلَ

السَّارقُ يتردَّدُ وطال تردُّدُه في جَمعهِ ما يجدُهُ فغلَبَ الرَّجُلَ النعاسُ فَنامَ وفرَغَ اللّصُّ ممَّا أرادَ وأمكنَهُ الذَّهابُ واسْتيقظَ الرَّجُلُ

فوجدَ اللّصَّ قدْ أخذَ المَتاعَ [1] وفازَ بهِ ، فأقْبلَ على نفسهِ يلُومُها وعرَفَ أنه لمْ يَنتفعْ بعلْمهِ باللّص إذْ لمْ يَستعمِلْ في أمرِه مايجِبُ .

ومنْ أمثَالِ هذا أنَّ رجُلاً كانَ بهِ فاقَةٌ وجُوعٌ وعُرْيٌ فألجأهُ ذلكَ إلى أنْ سألَ من أقاربِهِ وأصدِقائهِ فلمْ يكُنْ عند أحدٍ منهمْ فَضلٌ يعُودُ بهِ عليهِ ، فَبينما هُو ذاتَ لَيْلة في منزلهِ إذْ بَصُرَ بسارِقٍ فيه فقال واللهِ ما في مَنزِلي شيءٌ أخافُ عليه فلْيَجهَدِ السَّارِقُ جَهْدَهُ ، فبينما السَّارِقُ يجولُ إذْ وقعتْ يدُهُ على خابيَةٍ فيها حِنطَةٌ فقال السَّارقُ : واللهِ ما أُحِبُّ أنْ يكُونَ عَنائي اللَّيْلةَ باطلاً ولَعلّي لا أصِلُ إلى موْضعٍ آخرَ ولكنْ سأحْمِلُ هذِهِ الحِنْطةَ ، فقالَ الرَّجلُ : يَذْهبُ هذا بالحِنْطةِ وليسَ وَرائِي سِوَاها فيَجتمعُ عليَّ معَ العُرَي ذَهلبُ ما كُنْتُ أُقْتاتُ بهِ وما تجْتمِعُ واللهِ هاتانِ الخَلّتانِ على أحدٍ إلاَّ أهلَكتاهُ ، ثمّ صاحَ بالسَّارِقِ وأخذَ هِرَاوَةً [1] كانَتْ عندَ رأسِهِ فلمْ يكُنْ لِلسَّارِقِ حِيلةٌ إلاّ الهرَبُ منهُ وترَكَ قَميصَهُ ونجَا بنفسهِ وغَدَا الرَّجُلُ بهِ كاسِياً .

texte 5

ثقة

١. التاجران

غيرهِ ، فانّ مَنْ فعَلَ ذلكَ كانَ خليقاً أن يُصيبَهُ ما أَصابَ التّاجِرَ منْ رفيقهِ ، فانهُ يُقالُ : إنهُ كانَ رجُلٌ تاجرٌ وكانَ لهُ شَريكٌ فاسْتأجَرا حانُوتاً (٢) وجعَلاَ متَاعَهُما فيهِ ، وكانَ أحدُهُما قريبَ المنزِلِ من الحانُوتِ فأضْمر في نفسهِ أنْ يسْرِقَ عدْلاً من أعْدالِ رَفيقهِ ومكَرَ الحيلةَ في ذلك ، وقال : إنْ أتيْتُ ليلاً لمْ آمَنْ أن أحمِلَ عِدْلاً منْ أعدالِي أو رِزْمَةً (٣) من رِزَمي ولا أعرِفها فيَذْهَبَ عَنائي وتَعبي باطلاً ، فأخذَ رِداءَهُ (٤) وألقاهُ على العِدْلِ الذي أضمَرَ أخذَهُ ثم انصرَفَ إلى مَنزِلهِ ، وجاءَ رفيقهُ بعدَ ذلك ليُصْلحَ أعدالَهُ فوجدَ رداءَ شَريكهِ على بعضِ أعدالهِ ، فقالَ : واللهِ هذا رِداءُ شَرِيكي ولا أحسَبُهُ إلاَّ قدْ نَسِيَهُ . وما الرَّأْيُ أنْ أدَعَهُ ههنا ، ولكنْ أجعلُهُ على رِزَمِهِ فلعلهُ يَسبقُني إلى الحانُوتِ فيَجِدُهُ حيثُ يُحِبُّ ، ثم أخذَ

الرِّداءَ فألْقاهُ على عِدْلٍ منْ أعدالِ رَفيقِهِ وأقْفَلَ الحانُوتَ ومَضى إلى منزِلهِ . فلما جاءَ الليلُ أتى رَفيقُهُ ومعهُ رجُلٌ قدْ واطَأَهُ (١) على مـــا عزمَ عليهِ وضَمِنَ لهُ جُعلاً (٢) على حَملهِ فصارَ إلى الحانُوتِ في

الظُّلمةِ فالتمسَ الإزارَ فوجدَهُ على العِدْلِ فاحتَملَ ذلكَ العِدْلَ وأخرجَهُ هو والرَّجُلُ وجعَلاَ يَتراوَحانِ على حَمْلِهِ [٣] حتى أَتى

مَنزِلَهُ ورَمى نفسَهُ تعباً ، فلما أَصْبَحَ افتقَدَهُ فاذا هوَ بعضُ أَعدَاءِهِ فنَدِمَ أشدَّ النَّدَامَةِ ثمَّ انطلَقَ نحوَ الحانُوتِ فوجدَ شَريكه قدْ سبقَهُ إليهِ ففتَحَ الحانُوتَ وفَقَدَ العِدْلَ فاغْتَمَّ لذلكَ غمًّا شديداً وقال : وَاسَوْأتاهُ [١] منْ رَفيقٍ صالحٍ قدِ ائْتَمنَني على مَالِهِ وخلَّفَني فيهِ ماذَا يكُونُ حالِي عنْدَهُ ، ولسْتُ أُشكُّ في تُهمتِه إيَّايَ ولكنْ قد وطَّنْتُ [٢] نفسِي على غَرامتِه ، فلمَّا أَتاهُ صاحبُهُ وجدَهُ مُغْتَمًّا فسأَلَهُ عنْ حالِهِ فقالَ : إني قدِ افتَقَدْتُ الاعْدَالَ وفقَدْتُ عِدْلاً منْ أعدالِكَ ولا أعلمَ بسَبَبِهِ ، وإني لا أُشكُّ في تُهْمتِكَ إيَّايَ وإني قدْ وطَّنْتُ نفْسِي على غَرامتِه ، فقالَ لهُ : يا أَخِي لا تغتمَّ فإنَّ الخِيانةَ شرٌّ مـا عملهُ الإنْسَانُ . والمَكرُ والخديعةُ لا يُؤَدِّيانِ إلى خَيْرٍ وصاحبُهما مغْرُورٌ أبداً وما عَادَ وَبالُ البَغْي إلاَّ على صاحبِهِ ، وأنا أَحدُ مَنْ مكَرَ وَخدَعَ واحتَالَ ، فقال لهُ صاحبُهُ : وكيْفَ كانَ ذلكَ ؟ فأخبرَهُ خبرَهُ وقَصَّ عليهِ قصَّتَهُ ، فقال لهُ رفيقُهُ : ما مَثَلُكَ إلاَّ مَثَلُ اللِّصِّ والتَّاجرِ ، فقال لهُ : وكيْفَ كانَ ذلكَ ؟

قالَ : زَعَمُوا أنَّ تاجِراً كانَ لهُ في مَنزِلِهِ خابِيتانِ إحدَاهُما مَمْلُوءَةٌ حِنْطةً والأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهباً ، فترَقَّبَهُ بَعضُ اللُّصُوص زَماناً حتى إذا كانَ بعْضُ الأيَّامِ تَشَاغَلَ التَّاجرُ عنِ المنزلِ فتغفَّلَهُ[1] اللّصُّ ودخلَ المَنْزِلَ وكَمَنَ في بعْضِ نوَاحِيهِ ، فلمَّا هَمَّ بأخْذِ الخَابِيَةِ التي فيهَا الدَّنانيرُ أخذَ الَّتي فِيها الحِنْطةُ وظَنَّها التي فِيها الذَّهبُ ، ولمْ يزلْ في كَدٍّ وتَعَبٍ حتى أتَى بها مَنزلَهُ فلمَّا فتَحَها وعَلمَ ما فِيها نَدِمَ .

قال لهُ الخائنُ : ما أبْعَدْتَ المثَلَ ولا تجَاوَزْتَ القِيَاسَ وقدِ اعتَرَفْتُ بذَنْبي وخطأي عَليْكَ ، وعَزِيزٌ[1] عليَّ أنْ يكُونَ هذا كَهذَا ، غيرَ أنَّ النَّفْسَ الرَّدِيئَةَ تأْمُرُ بالْفَحْشاءِ[2] ... فقَبِلَ الرَّجُلُ معْذِرَتَهُ وأضْرَبَ[3] عنْ تَوْبيخِه وعنِ الثَّقَةِ بهِ ، ونَدِمَ هوَ عنْدَ ما عَايَنَ منْ سُوءِ فِعلهِ وتقْدِيمِ جَهلهِ .

مثلَ الإخوةِ الثلاثةِ الّذين خلّفَ لهمْ أبوهمْ المالَ الكثيرَ فتنازعُوهُ بينهمْ (٥) فأمّا الابنانِ الكبيرانِ فإنهما أسرعا في إتلافِه وإنفاقِه في غيرِ وجهِه، وأمّا الصّغيرُ فإنهُ عندَ ما نظرَ ما صارَ إليهِ أخواهُ منْ إسرافِهما وتخلّيهما (٦) منَ المالِ أقبلَ على نفسِه يُشاورُها وقال: يا نفسي إنما المالُ يطلُبُهُ صاحبُهُ ويجمعُهُ في كلّ وجهٍ لبقاءِ حالِه وصلاحِ

معاشِه ودُنياهُ وشرفِ منزلتِه في أعينِ النّاسِ واستغنائِه عمّا في أيديهمْ وصرفِه في وجهِه منْ صلةِ الرّحمِ (١) والإنفاقِ على الولدِ والإفضالِ على الإخوانِ، فمنْ كانَ لهُ مالٌ ولا يُنفقُهُ في حُقوقِه كانَ

كالذي يُعدُّ فقيراً وإنْ كانَ موسِراً (٢) وإنْ هوَ أحسنَ إمساكَه (٣) والقيامَ عليهِ لمْ يعدَمْ أمرَيْنِ: منْ دنيـــا تبقى عليهِ ... وحمدٍ

يُضافُ إليهِ، ومتى قصدَ انفاقَهُ من غيرِ الوُجوهِ التي حُدّتْ (١) لم يلْبثْ أن يُتلفَهُ ويبقى على حسْرةٍ وندامةٍ، ولكنَ الرّأيُ أن

أُمسكَ هذا المالَ فإني أرجو أن ينفعني اللهُ بهِ ويُغْنيَ إخوتيَ على يدي فإنما هوَ مالُ أبي ومالُ أبيهما، وإنّ أولى الإنفاقُ على صلةِ

الرَّحمِ وإنْ بَعُدَتْ فكيفَ بإخوَيَّ .. فأنفَذَ فأحضَرَهما وشَاطَرَهما مالَهُ .

الاخوة الثلاثة (ش ١٣)